قراءة في أوراق الرجل الفانوس :

سالم عزام : لا أبيع مواقفي بأي ثمن المجلس الاسلامي هو مفتاح شخصيتي والدبلوماسية مشروطة باستخدام "لا"

حين تقدم اوراق اعتمادك للكتابة عن هذا الرجل، تدرك - يقينا - انك ستدق ابوابا كثيرة قد لا يسعفك الحظ في امتلاك مفاتيحها، وانك ستدخل مفازة شاسعة من التجارب والاحداث قد لا تستطيع - على صبرك - تجاوز مشاهدها المثقلة بالتعب والجد والمعاناة.

انت - اذن - تكتب عن شاهد حاضر لمرحلة طويلة من الترهل والضياع ولحالة اقرب مواصفاتها الرداءة.. فكيف تستطيع - والامر هكذا - ان تحمل (الفانوس) لتضيء دربا ضيقا يكشفه هذا الرجل.. ويعبده هذا الفتى الكبير.. وكيف تستطيع - باللصعوبة - ان تحد القيم النبيلة التي تألف من نسغها صاحبنا في مقال قد يبدو بسطوره القليلة او الكثيرة مجرد محاولة لكاتب مبتدىء يتحسس حروف الابجدية بحذر وقلق.

للوهلة الاولى، قد يبدو هذا الكلام مبالغة تتكىء على محسنات اللغة واستعاراتها الكثيرة، او جنوحا فكريا نحو ممارسة التلميع وفنونه المختلفة، ولكنه حين يمس الواقع المشهود به وعليه ينقلب الى مجرد اعتذارية متواضعة تتوارى خجلا من هذا الرجل الذي ظلت كلمة (لا) ترافقه عملا وسلوكا، لا نقمة او ردة فعل، كما ظلت مواقفه شواهد في هذه الارض العربية الاسلامية للانسان والزعيم الذي لا يقبل لفكره ثمنا او لموقفه مجالا للمهادنة او المساومة..

وحين اقدم اوراق اعتمادي للكتابة عن الاستاذ والمفكر الاسلامي سالم عزام اعرف - على تواضع ما قد اقول - انه الاكبر من كل هذا الكلام وانه الاقدر على تنوير ما اختفى من ظلال وتنوير ما توارى من حدث غائب او موقف مستور.

التلسكوب

واذا كان التاريخ هو دربنا الايسر سلوكا والاقل تعبا وجهدا وكلفة فان اضاءة جانب من جوانب شخصية الاستاذ عزام من فوق هذا المهاد، يشكل خيطا من شعاع تتوالى حزمة التي تحتاج العين من اجل تجميعها الى تلسكوب لا لضعف ما ينبعث من اضوائه ولكن لدقة وكثافة هذه الاضواء. فالرجل مثلا سليل اسرة مصرية معروفة بمواقفها وسماتها وخدماتها على مستوى الوطن والامة، شقيقه عبدالوهاب عزام، وعمه عبدالرحمن عزام اول امين عام للجامعة العربية، وهو مع ذلك يصر على ان اصل هذه العائلة من هنا من الاردن ومن (الشوبك) بالتحديد.. ولكن الامر لا يهم كثيرا اذا ما ادركنا ان ما قدمه سالم عزام كان اكبر من حجم المحروبة واقطارها واعم من ان يحصر في دائرة جغرافية او زاوية تاريخية مؤطرة بالافكار الجامدة.

وفي درب التاريخ - هذا اليسير - نطالع ان سالم عزام كان احد اعمدة الحزب الوطني وكان واحدا من اعضائه الفاعلين الذين تتلمذوا على فكر مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهما.. وفي الحزب الوطني الذي كان يمثل روح الامة يتعلم سالم عزام اول دروس الدعوة الى وحدة الامة وضرورة وجود رأس عاقل يحكمها ويدير شؤونها، فيدعو مع غيره من المناضلين الى رفع التبعية وتقاليعها عن ابناء هذه الامة بالحفاظ على هيبة الخلافة، ويقف هو ومن معه ضد الذين تطوعوا في «اصول الحكم» و «التنوير» و«اللهجة المحكية» الى ضرورة العودة الى الذات والاحتكام الى الحضارة التي استحدث اصالتها وعنفوانها من الاسلام..

وحين تشتعل المظاهرات ضد الاجنبي وعملائه ينتظم سالم عزام في صفوف المواجهة فينفى الى فرنسا وتكون تلك فرصته لدراسة العلوم السياسية، ولكن الحنين الى الوطن يعاوده مع قيام الثورة عام ١٩٥٢ للعودة من اجل مواصلة النضال في صفوف المبشرين بالوحدة والحرية والعدالة.. وفجاة - وبعد اشهر قليلة - تنجلي غيوم الثورة لتتكشف غاياتها ولتبدو عوراتها فيما ارتكبته من اخطاء وخطايا بحق الشعب الذي ظل ينتظر المخلص.. لقد ادرك سالم عزام ان الثورة لن تزيد الواقع ولا المستقبل الا رداءة واستبدادا فآثر العودة الى فرنسا.. لم يكن - حينئذ يفكر ولو للحظة - ان ذلك الغياب هو بوابة للهروب.. ولكنه - والاحداث اللاحقة تشهد - كان يفكر بأمر آخر اشد صعوبة واكثر جلبا للتعب والمعاناة..

من فرنسا يبدأ نضاله الجديد.. من اجل الاسلام والعروبة ومن هناك حيث يستطيع ان يكتشف سر هذا الانبهار الذي يبشر به غيره البسطاء من الناس يستطيع - ايضا - ان يبدأ المعركة.

لقد اكمل - اولا - دراسته في العلوم السياسية والصحافة حيث نال في الاولى درجة الماجستير وفي الثانية الدبلوم العالي ومن هناك كانت تنشده كثير من المؤسسات والدول قصد الاستشارة والمساعدة في قضايا تمس السيادة وبعض الخلافات على مستوى الحدود وغيرها.. ومن هناك قبل سالم عزام ان يعمل في وزارة الخارجية السعودية في المركز وفي سويسرا وفي السويد وامريكا وبريطانيا.. وكان يعرف ان هذا المنصب يتطلب منه مزيدا من الثبات على الحق والجرأة في ابداء الرأي والحزم في الموقف.. وكانت الاحداث التي لا يمكن رواياتها قد اثبتت بعد ان سالم عزام لا يمكن ان يتأطر بسياسة ما او ان يتلون بماركة مسجلة.. كان الرجل - وما يزال - حريصا على ان يكون مستقلا في كل شيء وشاهدا نظيفا على مرحلة كل ما فيها ملوث.. فلم يشارك في احتفالات المواسم التي تقيمها الدول لكسب الشعبية والتأييد ولم يقبل - مهما دفع الدافعون - ان يقبض ثمنا لموقف او حتى ان يصمت عن خطأ قد يستطيع الاقل منه ذكاء تمريره وتبريره بسهولة.. وما اكثرها المرات التي حاول فيها الاخرون ان يشتروا ذمة هذا الرجل وكانت مطالبهم اكثر ما تبدو رخصا وسهولة لو كانت مع شخص غير سالم عزام.. كلمة في مؤتمر، او اشادة بنظام او اقامة مؤتمر في عاصمة ما.. مقابل مئات الالاف من الدولارات..

ولكن (لا) سالم عزام الحقيقية لا الروائية كانت الجدار المنيع ضد هذه الاماني الخادعة.. وكانت مجرد اشارة منه بمعنى من معاني هذه الكلمة قادرة على اسكات الكثيرين من الذين طالما حاولوا بدافع حقدهم ان يحاصروا هذا الرجل او ان يضعوا في طريقه مئات العثرات.

رجل غريب

لقد قلت ان سالم عزام رجل غريب، وغرابته لا تنبع من سمات شخصية ومسلكية يحملها ويدافع عنها، ولكنها تبدو كذلك اذا ما برزت في مرحلة - كمرحلتنا - مليئة بالتناقضات وملوثة مع مختلف اجيالها بالمصلحة والشهوة والمزايدة.. فسالم عزام - اذن - غريب بحكم هذه المواصفات التي انطبعت بها الحالة العربية لا بحكم المواصفات الحقيقية لقيم الرجال وما يجب ان يكونوا عليه.

ولقد قلت ان سالم عزام رجل مميز لا يمكن الكتابة عنه بسهولة لان كثيرا من مواقفه - وهو الرجل البسيط - مع قادة وزعماء معروفين تعكس جانبا نادرا في شخصية المفكر ايا كان فالمفكر غالبا ما يدور في فلك السياسي والمفكر غالبا ما يغدوا تلميذا لا معلما لموقف السياسي، وهو يرضى ان يكون حاجبا في ديوان السلطة.. ولكن سالم عزام يخرج عن هذا الاطار فيقول كلمته التي يؤلف بها مدوية في بلاط هذا القائد او ذاك الزعيم.. ويضع شروطه للعمل والتعاون قبل ان يفاوض على مصلحته ومغانمه.. وكم اود ان يكتب سالم عزام ذكرياته في هذا الاطار ليقرأها المتدافعون الى سدة السلطة المتهافتون على موائدها لكي يدركوا حجم الشهامة التي يمتلكها هذا الرجل ويدافع عنها بما يمتلك من اسلحة بسيطة مفتاحها (لا للسلة مع الذلة).

قصة المجلس

وحين نقفل بوابة التاريخ لنطل من بوابة الفكر على سالم عزام نجد ان المفتاح المناسب لهذه البوابة الكبيرة من شخصيته هو المجلس الاسلامي.. فما قصة هذا المجلس وما قصة ارتباط سالم عزام به منذ تأسيسه؟.

لقد ادرك العاملون في مجال الفكر الاسلامي على اختلاف حركاته ومذاهبه في كافة انحاء العالم مدى الحاجة الى تأسيس مجلس اسلامي يأخذ على عاتقه دراسة واقع المسلمين والدفاع عن حقوقهم والعمل على حمل الدعوة ونشر الوعي بحقوق الانسان واقامة الوحدة بين ابناء الامة الواحدة.. فأعلن رسميا في عام ١٩٨٢ اقامة هذا المجلس والبدء بوضع برامجه واهدافه.. وقد اجتمعوا على اسناد مهمة امانته العامة للاستاذ سالم عزام.. وذلك نظرا لجهوده الكثيرة في مجال الفكر والدعوة وقدرته على التنسيق والوصول الى كافة اقطار العالم الاسلامي للتبشير

البقية ص ٢٢

بين يدي خطاب الحسين

سالم عزام : هذه اللاءات الثلاث يجب ان ندافع عنها للابد

بعد ان تقدم بالشكر لجلالة الملك وولي عهده ومعالي وزير الاوقاف د. عبدالسلام العبادي والشعب الاردني على الاهتمام بالمدينة المقدسة وكرم الضيافة قال:

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الاخوة الكرام

ارجو ا ن تسمحوا لي بأن اشير الى فقرات ثلاث في الخطاب القيم لجلالة الملك الحسين

الاول : نداؤه الى الامة ان تنهض من ا جل انقاذ القدس ومن ان تصير قادرة على التصدي لكل حصار وقهر واستلاب..

وهو نداء يلقى لا شك الرضا كل الرضا من كل عربي ومسلم فالقدس رمز كزامتنا وعزتنا ورفع ا لحصار عن العراق وليبيا ووقف المؤامرات ضد شعب السودان هو مطلب كل عربي وكل مسلم.

والفقرة الثانية قول جلالته نقول اليوم لا لاي حل لا يعيد السيادة العربية على القدس العربية.. ونقول لا لاي حل لا يضمن حقوق ابناء فلسطين التاريخية والشرعية على ثرى وطنهم الطهور ونقول لا لكل سلام لا يمثل الحق والعدل وكرامة الانسان..

هذه اللاءات الثلاث يؤيدها كل عربي ومسلم ونرجو ان نثبت عليها وندافع عنها وان لا يؤثر فيها خروج اي حاكم عربي عليها كما حدث في لاءات الخرطوم السابقة للاسف الشديد.

والفقرة الثالثة في خطاب جلالته ا مره بتشييد منبر صلاح الدين كي يعود الى موقعه من الاقصى الشريف كرد على الحاقدين الذين احرقوه.

هذه الفقرات الثلاث وما احتوت عليها من معان تلقى تأييد كل عربي ومسلم

ايها الاخوة الكرام

عندما امر نور الدين زنكي صناع حلب باعداد المنبر كان يعتزم حقيقة وصدقا تحرير القدس ووضع ا لمنبر في المسجد الاقصى وقد حمله صلا ح الدين من بعده الى القدس يوم تحريرها.

واليوم نأمل ان يكون بداية العمل في تشييد منبر صلاح الدين بمشاركة المهندسين والفنانين والعمال من ا نحاء العالم الاسلامي هو رمز لاصرار هذه الامة على تحري رالقدس اولى القبلتين وثالث الحرمين وعلينا ان نعمل جاهدين من اجل تحقيق هذا الهدف العظيم.

وفي ختام كلمتي اود ان اشير الى ان خير من يقوم بخدمة المقدسات الاسلامية في والقدس هي وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ولجنة ا عمار المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة فاعمالها واضحة كما بينها معالي الاخ الدكتور عبدالسلام العبادي وانني باسم اخواني اطالب الجهات الرسمية والشعبية في العالم ا لاسلامي بالتعاون مع وزارة الاوقاف الاردنية ودعمها ونرجو ان تعلو قضية للقدس على كل خلاف شخصي او حكومي . فالقدس توحدنا والله معنا وهو ناصرنا وحسبنا الله ونعم الوكيل.